

(١٦) الإسلام وطفل الأنابيب

مع تقدم العلم الحديث . . والتطور المذهل الذى أدخله الإنسان على الأجهزة والمختبرات العلمية . . فقد أصبح طفل الأنابيب حقيقة شائعة . وسوف تلعب فى المستقبل القريب دوراً خطيراً وحاسماً فى حياة الكثير من الأسر . . وسوف يأتى وقت ليس ببعيد حين يسأل الطفل زميله فى المدرسة فى براءة . . هل أنت صناعى أم طبيعى . . أو هل أنت طفل أنابيب ؟ وحتماً سيكون بين كل مائة طفل فى المدرسة عشرة أطفال من هذا النوع إذ دلت الإحصاءات على أن نسبة العقم ١٠٪ بين الأسر . .

ولما كانت هذه القضية ذات علاقة مباشرة وهامة جداً بالدين والشرع وذلك لارتباطها بالأبوة والبنوة . . وعلاقات الأسرة وتماسكها . . وقواعد الزواج والأنساب والمواريث . فلا بد أن يكون لنا نحن المساحون رأى واضح فى كل صغيرة وكبيرة منها يكون مبنياً على مبادئ الشريعة الإسلامية . . وتعالم ديننا السمحاء .

العقم فى الرجل والمرأة :

العقم أنواع عديدة . . وليست كل حالة عقم تحتاج إلى العلاج بطفل الأنابيب . . فقبل اكتشاف هذه الطريقة

كانت نسبة كبيرة من حالات العقم تعالج بنجاح بوسائل طبية أو بعمليات جراحية بسيطة . ولكن العقم الذى نتحدث عنه هنا هو الذى تفشل فيه جميع الطرق العلاجية الأخرى وليس له حل سوى طفل الأنابيب . . ويمثل العقم فى الرجال ٤٠٪ من أسباب العقم كما يمثل فى النساء ٦٠٪ .

وأساببه فى الرجال وجود علة فى نطفة الرجل . فقد تكون الحيوانات المنوية معدومة وغير موجودة وهو أمر نادر جداً . . وقد تكون هناك نسبة كبيرة من هذه الحيوانات ميتة أو مشوهة . . فإذا زادت هذه النسبة عن ٤٠٪ كان احتمال العقم وارداً . . وهذه الحالات أمكن التغلب عليها حديثاً بواسطة طفل الأنابيب . . إذ يؤخذ منى الرجل وتفصل منه الحيوانات السليمة . . وتوضع فى الأنبوب على بويضة الزوجة لضمان حدوث التلقيح . فإذا تكون الجنين يمكن نقله إلى رحم الأم مباشرة .

أما العقم فى المرأة فأهم أسبابه أحد أمرين : —
إما وجود انسداد فى قناة المهيبل . . مما يمنع البويضة من النزول للإخصاب : وإما لعدة أو ضعف فى الرحم نفسه بحيث لا يتمكن الجنين عن التعلق بجداره لكى يتغذى وينمو.

كيف يصنع طفل الأنابيب :

تؤخذ بويضة الأم عند تكونها بواسطة حقنة تدخل من

جدار البطن مباشرة إلى قناة المهبل . . فتشفت البويضة من خلال الحقنة ثم توضع في أنبوب (حضانة) ويطلب من الزوج إعداد عينة من السائل المنوى التي توضع على البويضة مباشرة . . ويمكن مراقبة التحام الحيوان المنوى بالبويضة ثم انقسام الجنين إلى خلايا متعددة تحت الميكروسكوب وبعد ٤٨ ساعة يمكن نقل هذا الجنين إلى الرحم مباشرة وزرعه داخله . . وهذه هي المرحلة الحساسة جداً والتي تحتاج إلى الدقة والمهارة . .

الرحم الظئر :

إذا وجدنا بالتجربة أن رحم الأم لايقبل تعلق الجنين به ونموه بداخله فقد تغلب العلم الحديث على هذه بأن يزرع الجنين في رحم امرأة أخرى تتبرع لحمل هذا الجنين (سواء بأجر أو بغير أجر) ويظل الجنين في رحمها طوال مدة الحمل الطبيعية وتحدث لها جميع أعراض الحمل من رحم وإدرار الحليب وكبر الثديين وخلافه . . وفي الموعد المحدد تلد ولادة طبيعية . وقد اُصطلح على تسمية هذه الحالة بالرحم الظئر . .

حكم الإسلام في طفل الأنايب :

- بدى أن تكوين الجنين من نظفة الأب الشرعى وبويضة الأم الشرعية أمر مقبول شرعاً . . بإجماع آراء المشرعين

والعلماء المختصين المسلمين . وهذه قضية مسلمها ولا جدال صولها . .

— وفي نفس الوقت فإن تكوين الجنين من نطفة أب آخر أو بويضة أم أخرى أمر مرفوض شرعاً . وقد ظهرت في أوروبا الآن بنوك تحتفظ بأنواع من النطف والبويضات لعمل أجنة تحت الطلب نظير أجر معين . . وقد عارضتها الكنيسة . . واعتبرت الإبن غير شرعى .

— ولكن القضية التي يدور حولها الخلاف بين المشرعين المسلمين والأطباء هي الرحم الطئر . . فقد أفتى بعضهم أن الجنين حتى يكون شرعياً لا بد أن يخرج من رحم أمه وليس من رحم أخرى . وحجتهم في ذلك قوله تعالى : « إن أمهاتكم إلا اللاتي ولدنكم » .

ويقول أصحاب هذا الرأي إن الجنين سوف يتغذى من دم امرأة أخرى . . وسوف ينمو ويتكون جسمه من عصابات جسمها . . وهذا الرأي في نظري خطأ : —

وأول هذا الخطأ أن استعمال الآية القرآنية جاء في غير موضعها . . فالقصد منها هو منع انتساب أحد إلى غير أبيه الشرعيين . . ومنع اختلاط الأنساب في حين أننا في هذه الحالة نعرف عن يقين نطفة الأب وبويضة الأم الأصليين فلا اختلاط في الأنساب .

وإذا كان الجنين قد زرع في رحم امرأة أخرى غير
مه فإن دور الرحم الطّئر هنا هو نفس دور الحاضنة التي
تغذى الطفل من لبنها أو دور الأنبوبة التي ينمو الطفل فيها
ويعيش فترة هامة من حياته ويتغذى تغذية صناعية .

والرحم الطّئر ليس حالة نادرة في قضية طفل الأنابيب
بل إن نصف حالات العقم التي ذكرناها ليس لها سوى هذا
الحل فكيف تحرم هذه الأسرة من هذه النعمة التي تقدمها
الحضارة للإنسان ولا تتعارض مع نص شرعى .

إن الفتوى بالتحريم والإباحة أمر خطير جداً ولا يجب
أن تلقى الفتاوى بغير علم ولا دراسة .. ويجب أن يكون الرأى
الأول في مثل هذه الأمور لرجل العلم المختص نسلم حتى لانضيق
على الناس في حياتهم ويأسوا من دينهم .. وتضطربهم
حاجة الحياة العصرية وضرورتها الملحة إلى اعتبار الدين
بعيداً عن الواقع .. فيتركون دينهم لأهله .. ويصبح هذا
الدين مهجوراً ..

زراعة المبايض آخر صيحة في علاج العقم :-

بعد التطور الهائل في ميدان الجراحة المجهرية .. وبعد
ما توصل إليه الإنسان من زرع أعضاء كاملة من إنسان
متبرع أو من إنسان حديث الوفاة إلى إنسان آخر فنقلوا
القلب .. والرئة والكبد .. وبعد أن قطع طفل الأنابيب

شوطاً كبيراً من النجاح . . بعد هذا كله ظهرت آخر
صبيحة في علاج العقم وهى زرع المبيض وأنبوب فالوب
حيث نجحت أول عملية . ن نوعها سنة ١٩٨٥ فى مستشفى
سانت لوك بأمريكا على يد الجراح المجهرى الدكتور شيرمان
سيلبر . ومن المنتظر أن تعدم هذه العملية بعد نجاحها وتأخذ
مكان طفل الأنايب فى علاج الكثير من أسباب العقم . .

والنقطة الحساسة فى هذه القضية هى كيف ننظر إليها ، سلاميا .

لقد قبل المشرعون عملية نقل القلب والرئة وأى عضو
فى الجسم للضرورة وإنقاذاً للحياة ولكن نقل المبيض قضية
أخرى . . لأن البويضة التى تنشأ لن تكون بويضة الأم
الأصلية . . والجنين الذى ينشأ فى رحمها سيكون جنين
المرأة المغطية صاحبة المبيض وليس جنينها . . فإذا زرعا
مبيض امرأة شقراء فى امرأة سوداء مصابة بالعقم فإن الجنين
سيكون أشقر مثل أمه . . فما هو حكم الشرع فى هذه الحالة .
أعتقد أننا يجب أن نترث طويلاً . . قبل أن نصدر حكماً فى
هذه القضية أيضاً .

مراجع الكتاب

(أ) المراجع الدينية :

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - الأحاديث النبوية الشريفة من المصادر المعتمدة .
 - ١ - البخارى
 - ٢ - مسلم
 - ٣ - أبو داود
 - ٤ - الترمذى
 - ٥ - النسائى
 - ٦ - ابن ماجه
 - ٧ - أحمد بن حنبل
- ٣ - الفقه على المذاهب الأربعة : دار الإرشاد للتأليف والطبع .
- ٤ - فقه السنة للشيخ سيد سابق « مكتبة الآداب » مصر .

(ب) دراسات عامة : -

- ١ - الحلال والحرام فى الإسلام « يوسف القرضاوى » .
- ٢ - قوانين الأسرة « سالم بنهاوى » - دار القلم الكويت
- ٣ - خطبة النساء : د. عبد الناصر توفيق العكار : جامعة الأزهر .
- ٤ - تحرير المرأة : قاسم أمين المركز العربى للبحث والنشر.
- ٥ - المرأة العربية فى ظلال الإسلام : عبد الله عفيفى دار الكتاب العربى .

- ٦ — المرأة بين البيت والمجتمع : البهى الحولى .
- ٧ — المرأة فى التصور الإسلامى : عبد العال محمد الجبرى مكتبة وهبة .
- ٨ — أخبار النساء : ابن القيم الجوزية . . دار مكتبة الحياة بيروت .
- ٩ — الإسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده : تحقيق محمد عمارة : القاهرة الثقافة العربية .
- ١٠ — المرأة فى الإسلام : د. على عبد الواحد وافى .
- ١١ — من هنا نبدأ : خالد محمد خالد . مؤسسة الخانجى القاهرة .

(ج) بين الطب والدين :

- ١ — الطب الوقائى فى الإسلام : دكتور أحمد شوقى الفنجري — الهيئة العامة للكتاب .
 - ٢ — خلق الإنسان بين الطب والقرآن : د. محمد على الباز الدار السعودية للنشر والتوزيع .
 - ٣ — الإسلام والطب : د. حامد الغوانى .
 - ٤ — القرآن والطب : د. محمد وصفي .
 - ٥ — الإجهاض بين الفقه والطب والقانون : د. سيف الدين السباعى .
 - ٦ — القرآن والتوراة والإنجيل والعلم : د. موريس بوكاى
 - ٧ — لمحات من الطب الإسلامى : د. حسان خثحوت (بالانجليزية) .
 - ٨ — الطب الإسلامى : ما نفريد أولمان .
- (د) مراجع طبية بالإنجليزية :

أبواب الكتاب :

- ١ - العلاقة بين الدين والجنس
والثقافة الجنسية في الإسلام .
- ٢ - القرآن والتزواج وعلم الأجنة
- ٣ - الزواج في نظر الإسلام والأديان الأخرى
- ٤ - الخطوبة واختيار الزوجة في الإسلام
- ٥ - الحب في نظر الإسلام
- ٦ - الاختلاط : في نظر الدين والعلم
- ٧ - النكاح وآداب المعاشرة في الإسلام
- ٨ - النكاح وآداب المعاشرة في الإسلام
- ٩ - العادة السرية في رأى الدين والعلم
- ١٠ - البرود الجنسي عند المرأة المسلمة : أسبابه وعلاجه
- ١١ - ختان المرأة عادة خطيرة والإسلام يرى منها .
- ١٢ - النظافة الجنسية في الإسلام
- ١٣ - الحكمة الطبية في تشريع الطلاق وتعدد الزوجات
- ١٤ - الإسلام وتنظيم النسل ومنع الحمل
- ١٥ - الإسلام والإجهاض
- ١٦ - الإسلام : وطفل الأنابيب وزرع المبيض .
- ١٧ - مراجع الكتاب

كتب للمؤلف

١ - كتاب « اسرائيل كما عرفتها » :

يشرح خبرة المؤلف حول اسرائيل عن طريق محاربهم في سنة ١٩٤٨ وفي سنة ١٩٥٦ وفترة الاعتقال في (عتليت) ويبين أخلاق وعقائد شعب اسرائيل وخطرها على العروبة والإسلام .

٢ - كتاب « الجولة الحاسمة بين العرب واسرائيل » :

يبين كيفية الانتصار على اسرائيل في جولة حاسمة عندما تتوفر للمسلمين الديمقراطية والحرية السياسية وفي ظل العقيدة الدينية .

٣ - كتاب « الحرية السياسية أولا » :

« دار القلم مصر والكويت » دراسة عن أهمية الحرية السياسية في نهضة الأمم وتلافي الأخطاء وإصلاح الاقتصاد مع دراسة واقعية لتلافي عيوب الحرية المطلقة .

٤ - كتاب « الحرية السياسية في الإسلام » :

« دار القلم مصر والكويت » يبين نظام الحكم في الإسلام

المبنى على الديمقراطية والشورى وحرية الرأى والنصيحة
ويصح مفهوم كثير من الناس عن الحكم فى الإسلام .

٥ - كتاب « الطب الوقائى فى الإسلام » :

« الهيئة العامة للكتاب » ويبين تعاليم الإسلام للوقاية من
الأمراض وإقامة مجتمع صحى منيع ضد الأوبئة ويشرح هذه
التعاليم فى ضوء العلوم الطبية الحديثة .

٦ - الإسلام والحياة الجنسية : دار عالم الكتب

٧ - سلسلة تمثيلات :

« دار القلم . الكويت » دار أفاق الغد - القاهرة .
ص . ب . ٢٠١٤٦ .

١ - « خولة بنت الأزور » فارسة الإسلام .

٢ - « سراقه بن مالك » الصحابى المتوج .

٣ - « رقبده » الممرضة الأولى فى الإسلام .

٤ - السابقون إلى الإسلام .

٥ - شروق الإسلام فى مصر .

٦ - عمر بن عبد العزيز .

٧ - سلمان الفارسى « دار عالم الكتب » .

٨ - العلوم الإسلامية « الناشر » مؤسسة الكويت للتقدم

العلمي « ٣ أجزاء أول كتاب مصور في اللغة العربية
عن انجازات المسلمين في شتى العلوم التطبيقية .
ويشرح اكتشافاتهم واختراعاتهم العلمية التي سرق
الكثير منها ونسبه غيرهم إلى نفسه في أوروبا .

٩ - كتب تحت الطبع :

- ١ - الإختلاط : في الدين وعلم الاجتماع .
(الهيئة العامة للكتاب)
- ٢ - الإسلام في حياتنا العصرية
نحو إقامة مجتمع إسلامي مثالي في القرن العشرين .